المبحث الثالث

أثر إدارته الحكيمة في العدالة الاجتماعية

1. **حسن اختياره عماله وولاته وقضاته**
2. **نصائحه لعماله وولاته**
3. **محاسبته ومراقبته لعماله**
4. **وضعه كل متخصص في موضعه**
5. **الحريات (حرية العقيدة – حرية الرأي – حرية الملكية)**

obeikandl.com

مما لا شك فيه إن حسن السيرة وحسن الإدارة ، ينعكس بالأيجاب قطعا على الحياة العامة ، وعلى العدالة الاجتماعية في المجتمع ، فيشعر المرء بالأمان، ويفرغ لعمله وحياته ، لأنه يعلم أن ورائه إدارة حكيمة تدير أمور البلاد ، فهو ليس بحاجة إلى مراقبتها ومراقبة أعمالها ، ويترك عمله الأساس وهو البناء والاجتهاد من أجل رفعة الوطن ، وينشغل بالحاكم وولاته ماذا يفعلون وماذا يدبرون وماذا يصنعون ، وكم أنفقوا وكم سلبوا ونهبوا وكم غشوا وأضلوا ، فإذا رعى الحاكم ربه في الرعية ، وأحسن إدارته وأحسن اختيار عماله وولاته ، استقام له الأمر واستقامت له الرعية .

1- حسن اختيار عمر لولاته وعماله وقضاته

من أولى الأشياء التي أولاها عمر اهتماما بالغا ، هو اختيار العمال على الأقاليم والبلدان ، التي فتحها الله على المسلمين فقد كان حريصا كل الحرص على أن يكون عماله من الصالحين ، لذلك لم يكن يختار إلا ذوي التقوى والإيمان الشديد ، ولاسيما الزاهدين في الدنيا ولا غرو في أنه كان يحسن اختيارهم حتى بالأسماء ، فقد سأل يوما رجلا أراد أن يستعين به على عمل عن اسمه واسم أبيه ، فقال : ظالم بن سراقة ، فقال : تظلم أنت ويسرق أبوك ، اذهب فلم يستعن به في شيء [1] .

وكان إذا استعمل أحدا اشترط عليهم ، وأشهد عليه المهاجرين والأنصار ، أن لا يركب برذونا ولا يأكل نقيا ولا يلبس رقيقا ولا يتخذ بابا دون حاجات الناس [2] .

---

(1) ابن عبد ربه : العقد الفريد ، ج2 ، ص 157.

(2) الطبري : المصدر السابق ، ج4 ، ص 208.

وفي هذا الإطار كتب عمر إلى أبي موسى الأشعري رضي الله عنه أما بعد : فإن أسعد الرعاة من سعدت به رعيته ، وإن أشقى الرعاة عند الله من شقيت به رعيته ، إياك أن ترتع فترتع عمالك ، فيكون مثلك عند ذلك مثل البهيمة ، نظرت إلى خضرة من الأرض فرتعت فيها تبغي بذلك السمن وإنما حتفها في سمنها أتلم . [1]

وروي أن أهل العلم بالخبر قالوا : إن عمر بن الخطاب دعا حابس بن سعد الطائي فقال : إني أريد أن أوليك قضاء حمص فكيف أنت صانع قال : أجتهد رأيي وأشاور جلسائي فقال : انطلق فلم يمض إلا يسيرا حتى رجع فقال : يا أمير المؤمنين إني رأيت رؤيا فأحببت أن أقصها عليك قال : هاتها قال : رأيت كأن الشمس أقبلت من المشرق ومعها جمع عظيم من الملائكة ، وكأن القمر قد أقبل من المغرب ومعه جمع عظيم من الكواكب ، فقال له عمر : مع أيهما كنت ؟ قال : مع القمر ، قال عمر : كنت مع الآية الممحوة، لا والله لا تعمل لي عملا أبدا ، ورده فشهد صفين مع معاوية ومعه راية طيئ فقتل يومئذ وهو ختن عدي بن حاتم [2].

وكان سعيد بن عامر بن حذيم بن سلامان بن ربيعة من زهاد الصحابة وفضلائهم ووعظ عمر بن الخطاب يوما فقال له : ومن يقوى على ذلك ؟ قال : أنت يا أمير

---

(1) ابن الجوزي : مناقب عمر ، ص 124.

(2) اسد الغابة 1/ 198

: وما أكثر من هذا عكاز أحمل عليه زادي وقدح آكل فيه ، فقال له عمر : أبك لمم ؟ قال : لا . قال : فما غشية بالغني أنها تصيبك قال : حضرت خبيب بن عدي حين صلب فدعا على قريش وأنا فيهم فربما ذكرت لك فأجد فترة حتى يغشى علي ، فقال له عمر : ارجع إلى عملك فأبى وناشده إلا أعفاه ، فقيل : إنه لما مات أبو عبيدة ومعاذ ويزيد ولاه عمر حمص فلم يزل عليها حتى مات، وقيل : استخلفه عياض بن غنم الفهري فأقره عمر رضي الله عنه [1].

وروى الشعبي أن كعب بن سور كان جالسا عند عمر بن الخطاب فجاءت امرأة فقالت : ما رأيت قط رجلا أفضل من زوجي ؛ إنه ليبيت ليله قائما ويظل نهاره صائما في اليوم الحار ما يفطر . فاستغفر لها عمر وأثنى عليها وقال : مثلك أثني بالخير ! فاستحيت المرأة وقامت راجعة فقال كعب بن سور : يا أمير المؤمنين هلا أعديت المرأة على زوجها إذ جائتك تستعديك ! قال : أكذلك أرادت قال : نعم . قال : ردوا علي المرأة . فردت ؛ فقال : لا بأس بالحق أن تقوليه إن هذا يزعم أنك جئت تشتكين أنه يجتنب فراشك . قالت : أجل إني امرأة شابة وإني أبتغي ما يبتغي النساء . فأرسل إلى زوجها فجاء فقال لكعب : اقض بينهما . فقال : أمير المؤمنين أحق أن يقضي بينهما . فقال : عزمت عليك لتقضين بينهما فإنك فهمت من أمرهما ما
لم أفهم . فقال : إني أرى لها يوما من أربعة أيام كأن زوجها له أربع نسوة فإذا لم يكن له غيرها فإني أقضي بثلاثة أيام ولياليهن يتعبد فيهن ولها يوم وليلة . فقال له عمر : والله ما رأيك الأول بأعجب من رأيك الآخر اذهب فأنت قاض على أهل البصرة وكتب إلى أبي

(1) اسد الغابة: جـ 1 ص 451

موسى بذلك فقضى بين أهلها إلى أن قتل عمر ثم خلافة عثمان فلم يزل قاضيا عليهما إلى أن قتل يوم الجمل مع عائشة [1].

وحاول يوما أن يستعمل أبي هريرة فروي أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه دعاه ليستعمله فأبى أن يعمل له فقال : أتكره العمل وقد طلبه من كان خيرا منك قال : من ؟ قال : يوسف ابن يعقوب عليهما السلام . فقال أبو هريرة : يوسف نبي ابن نبي وأنا أبو هريرة بن أميمة ، أخشى ثلاثا أو اثنتين . فقال عمر : أفلا قلت : خمسا قال : أخشى أن أقول بغير علم وأقضي بغير حكم وأن يضرب ظهري وينتزع مالي ويشتم عرضي [2].

وكان عمر رضي الله عنه يختبر عماله قبل أن يوليهم، وقد يطول هذا الاختبار ، وفي ذلك يقول الأحنف بن قيس : قدمت على عمر بن الخطاب رضوان الله عليه، فاحتبسني عنده حولا ، فقال يا أحنف قد بلوتك وخبرتك فرأيت أن علانيتك حسنة وأنا أرجو أن تكون سريرتك مثل علانيتك ، وأنّا كنا نتحدث إنما يهلك هذه الأمة كل منافق عليم، ثم قال له عمر أتدري لم احتبستك وبين له أنه أراد اختباره ثم ولاه[3].

ومن نصائح عمر للأحنف: يا أحنف، من كثر ضحكه قلتْ هيبته، ومن مزح استخف به، ومن أكثر من شيء عُرف به، ومن كثر كلامه كثر سقطه ومن كثر سقطه قل حياؤه، ومن قلَّ حياؤه قل ورعه، ومن قل ورعه مات قلبه[4].

---

(1) اسد الغابة ج1 ص936

(2) أسد الغابة: ج1، 1318

(3) الولاية على البلدان (1/ 142) مناقب أمير المؤمنين ص117.

(4) صفة الصفوة :جـ1ص 287.

ومن الملاحظ أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان في كثير من الأحيان يولي بعض الناس على قومهم إذا رأى في ذلك مصلحة ورأى الرجل جديرا بالولاية، ومن ذلك توليته جابر ابن عبد الله البجلي على قومه بجيلة[1]، حينما وجههم إلى العراق، وكذلك تولية سلمان الفارسي على المدائن، وتولية نافع بن الحارث على مكة، وعثمان بن أبي العاص على الطائف، ولعله كان يرمي من وراء ذلك إلى أهداف معينة يستطيع تحقيقها ذلك الشخص أكثر من غيره[2].

هكذا كان يحسن عمر بن الخطاب اختيار عماله من ذوي الصلاح والتقوي ، حتى لا يسأل أمام الله عنهم

2- وصاياه ونصائحه لولاته وعماله

لم يكن عمر بن الخطاب يحسن اختيار عماله فحسب ، بل كان يحرص كل الحرص على إمدادهم بالنصيحة والرشد ، لكي تكون لهم نبراسا يستعينون بها على حكم الأقاليم والمدن ، التي استخلفهم عليها ، فكتب يوما إلى عامله أبي موسى الأشعري ، أنه لم يزل للناس وجوه يرفعون حوائجهم فأكرم من قبلك من وجوه الناس ، وبحسب المسلم الضعيف من العدل ، أن ينصف في الحكم وفي القسم [3] .

فيوصيه هنا بأن يساوي بين الضعيف والشريف في القضاء والأحكام ، وأنه لا يجب أن يحابي الأغنياء على حساب الفقراء ، فكلهم أمام العدالة سواء .

وكان رضي الله عنه إذا استعمل العمال خرج معهم يشيعهم فيقول : إني لم

---

(1) الولاية على البلدان جـ1 ص 142.

(2) نفس المصدر جـ1 ص 142.

(3) الطبري : المصدر السابق ، ج4 ، ص 203.

أستعملكم على أمة محمد على أشعارهم ولا على أبشارهم ، إنما استعملتكم عليهم لتقيموا بهم الصلاة وتقضوا بينهم بالحق ، وتقسموا بينهم بالعدل ، وإني لم أسلطكم على أبشارهم ولا على أشعارهم ، ولا تجلدوا العرب فتذلوها ولا تجمهورها – أي تحبسونهم في أرض العدو – فتفتنوها ، ولا تغفلوا عنها فتحرموها ، جردوا القرآن واتلوا الرواية عن محمد وأنا شريككم ، وكان يقتص من عماله، وإذا شكي إليه عامل له جمع بينه وبين من شكاه ، فإن صح عليه أمرٌ يجب أخذه به أخذه به [1].

وكتب إلى معاوية بن أبي سفيان في القضاء ، كتابا يوصيه فيه بالنزاهة في القضاء ، القضاء الذي إذا استقل عن السياسية ، صار ملاذا لكل مظلوم ، القضاء الذي يجب أن لا يدنس بتدخلات الدولة فيه ، فقال له : إذا تقدم إليك الخصمان فعليك بالبينة العادلة أو اليمين القاطعة ، وإدناء الضعيف حتى يشتد قلبه وينبسط لسانه ، وتعاهد الغريب ، فإنك إن لم تتعاهده سقط حقه ورجع إلى أهله ، وإنما ضيع حقه من لم يرفق به ، وآس بين الناس في لحظك وطرفك ، وعليك بالصلح بين الناس مالم يتبين لك فصل القضاء . [2]

وكتب عمر إلى القضاه مع أول قيامه ، أن لا تبتوا في القضاء إلا عن ملأ ، فإن رأي الواحد يقصر إذا استبد ، ويبلغ إذا استشار ، والصواب مع المشورة ، وقال : يا معشر العرب إنكم كنتم أذل أمة وأشقاها ، حتى أعزكم الله بالإسلام ، فكنتم خير أمة أخرجت للناس فلا تطلبوا العزة بغيره فتزلوا . [3]

---

(1) الطبري : المصدر السابق ، ج4 ، ص 204.
(2) ابن عبد ربه : العقد الفريد ، ج1 ، ص 78.
(3) ابن الجوزي : المنتظم ، ج4 ، ص 136.

وكتب أيضا إلى أبي موسى الأشعري يوصيه بالقضاء حتى تتحقق العدالة الاجتماعية ، ويشعر الناس بالحق والعدل ، وأنه لا يضيع حق في ظل عدالة وحكم نزيه ، فقال له : إن القضاء فريضة محكمة ، وسنة متبعة فافهم إذا أولى إليك الخصم ، فإنه لا ينفع تكلم بحق لا نفاذ له ، آس بين الناس في مجلسك ووجهك ، حتى لا يطمع شريف في حيفك ولا يخاف ضعيف من جورك ، البينة على من أوعى واليمين على من أنكر ، الصلح جائز بين المسلمين إلا صلحا أحل حراما أو حرم حلالا ، ولا يمنعك قضاء قضيت به بالأمس ثم راجعت فيه نفسك وهديت فيه لرشدك أن ترجع عنه ، فإن الحق قديم والرجوع إليه خير من التمادي على الباطل ، الفهم الفهم فيما يتلجلج في صدرك ، مما لم يبلغك به كتاب الله ولا سنة نبيه صلى الله عليه وسلم ، وأعرف الأمثال والأشباه ، وقس الأمور عند ذلك ثم أعمد إلى أحبها عند الله ورسوله وأشبهها بالحق ، واجعل للمدعي أمدا ينتهي إليه ، فإن أحضر بينته أخذت له بحقه وإلا وجهت عليه القضاء ، فإن ذلك أجلى للعمى وأبلغ في العذر ، والمسلمون عدول بعضهم على بعض إلا مجلودا في حد ، أو مجربا عليه شهادة الزور ، أو ظنينا في ولاء أو قرابة أو نسبا ، فإن الله تولى منكم السرائر ،ودرأ عنكم بالبينات والأيمان ، ثم إياك والتأذي بالناس والتنكر للخصوم من مواطن الحقوق ، التي يوجب الله بها الأجر ويحسن بها الذخر ، فإنه من تخلص نيته فيما بينه وبين الله ، ولو على نفسه يكفيه الله ما بين وبين الناس ، ومن تزين للناس بما يعلم الله خلافه منه هتك الله سره .[1]

لا ريب إنها لوصايا كتبت بأحرف من نور ، لو صار عليها أي قضاء في العالم ، لصار منزها عن الشين ، وظل منبر للعدل والحق الذي يلجأ إليه الناس ، لو طبق

(1) ابن عبد ربه ، المصدر السابق ، ج1 ، ص 80.

كلام ووصايا عمر في القضاء ، لتحققت العدالة الاجتماعية في المجتمع ، لأن المظلوم بناء على هذه المبادئ والوصايا التي حددها عمر لقضاته سيأخذ حقه لا محالة ، أما أن تفصل القوانين وتغير المبادئ لحساب الأغنياء وذوي النفوذ والسلطان ، وتختفي الملفات ويُبرأ الظالم ويحكم على المظلوم ، ويعاقب الفقراء ويخلى ساحة الأغنياء ، هنا يقف الزمن عند هذه الانتهاكات ، ويثور الناس وتهيج الشعوب ، وتضيع العدالة الاجتماعية ، لأن البيئة التي يعيشون فيها صارت تسير بقوانين الغابة فالبقاء للأقوى وذوي النفوذ .

ثم كتب إليه يوصيه بالجانب الإداري ، حتى يكون قدوة للناس ، ولكي يحقق العدالة الاجتماعية بين الرعية ، فقال له : ان الناس نُفرة عن سلطانهم ،فاحذر أن تدركني وإياك عمياء مجهولة وضغائن محمولة ، وأهواء متبعة ، ودنيا مؤثرة ، أقم الحدود واجلس للمظالم ولو ساعة من النهار ، وأخف الفساق واجعلهم يدا يدا ، ورجلا رجلا ، وإذا كانت بين القبائل نائرة [1] فنادوا يا لفلان : فإنما تلك نجوى من الشيطان ، فاضربهم بالسيف حتى يفيئوا إلى أمر الله ، وتكون دعواتهم إلى الله والإسلام ،واستقدم النعمة بالشكر ، والطاعة بالتألف والمقدرة بالعفو والنصرة بالتواضع والمحبة للناس [2] .

ونصح أبي عبيد بن الجراح وهو متوجه إلى القتال قائلا له : أوصيك بتقوى الله الذي يبقى ويفنى سواه ، الذي هدانا من الضلالة ، وأخرجنا من الظلمات إلى النور ،

---

(1) النائرة: العداوة الشديدة

(2) ابن عبد ربه : المصدر السابق ، ج1 ، ص80 .

وقد استعملتك على جند خالد بن الوليد ، فقم بأمرهم الذي يحق عليك ، لا تقدم المسلمين إلى هلكة رجاء غنيمة ، ولا تنزلهم منزلا قبل أن تستزيده لهم وتعلم كيف مأتاه ، ولا تبعث سرية إلا في كنف من الناس ، وإياك وإلقاء المسلمين في الهلكة ، وقد أبلاك الله بي وأبلاني بك ، فغمض بعدك عن الدنيا ، وإياك أن تهلكك كما أهلكت من كان قبلك ، فقد رأيت مصارعهم . (1)

وكتب إلى أبو عبيدة في كتاب آخر ، يوصيه بتعليم صبيان الأمة العوم ، وتعليم مقاتلة المسلمين الرمي (2). وكتب إلى أبو موسى الأشعري كتابا آخر يوصيه فيه قائلا له : لا تؤخر عمل اليوم إلى الغد ، فيحسه على العمل الجاد الدؤوب ، حتى لا تتعطل مصالح الناس ، فقال له لا تؤخر عمل اليوم إلى الغد ، فتدال عليك الأعمال فتضيع ، وإن الناس في نفرة عن سلطانهم ، أعوذ بالله أن تدركني وإياكم ضغائن محمولة ودنيا مؤثرة وأهواء متبعة . (3)

فيحذره من تأخير أعمال الناس ، فيضيع وتنقص مكانته في عيون رعيته ، ويوصيه بالابتعاد عن الدنيا وملذاتها وشهواتها، حتى ينظر اليه الناس بعين الزهد ، فيكون مثالا صادقا وقدوة صالحة .

وكتب إليه أيضا يوصيه بتقريب ذوي الفضل في الدين والتقوى ، وأن ينزلهم منزلتهم لأنهم هم وجهاء القوم ، وليس أولئك المنشغلين بأموالهم عن الله ، وليس هؤلاء الفاسدين الذين طغوا في الأرض ، فيوصيه عمر باتخاذ البطانة الصالحة ،

---

(1) ابن الجوزي : المنتظم ، ج4، ص 136.

(2) ابن الجوزي : مناقب عمر ، ص 124.

(3) ابن الجوزي : السابق ، ص 125.

قائلا له : بلغني أنك تأذن للناس جما غفيرا ، فإذا جاءك كتابي هذا ، فأذن لأهل الشرف وأهل القرآن والتقوى والدين ، فإذا أخذوا مجالسهم فأذن للعامة . [1]

وكتب يوما إلى بعض عماله يوصيهم ببعض الوصايا ، وكتب في آخر الوصية : أن حاسب نفسك في الرخاء قبل حساب الشدة ، فإن من حاسب نفسه في الرخاء قبل حساب الشدة، عاد مرجعه إلى الرضا والغبطة ، ومن ألهته حياته وشغلته أهواؤه ، عاد أمره إلى الندامة والحسرة ، فتذكر ما توعظ به لكيما تنتهي عما تنتهي عنه ، وتكون عند التذكرة من أولي النهى . [2]

لقد كان عمر حريصا كل الحرص على نزاهة عماله ، ونظافة يدهم من أموال المسلمين ، فحذرهم من الوقوع في شراك الرشوة ، والتي هي أساس كل فساد في أي مجتمع من المجتمعات ، فالرشوة تهدم القيم ، وتضيع الحقوق ، وتعطل المصالح ، وتضيع العدالة الاجتماعية بسببها ، والرشوة سببا رئيس من أسباب الفساد السياسي في أي مجتمع ، ففي مصر كانت ولا تزال سببا في ضياع الحقوق ، فاستبعد بسببها أصحاب الهمم والكفاءات عن المناصب التي يستحقونها ، وذهبت لمن ليست له أدنى كفاءة في مجاله ، لذلك فسدت الحياة بكل صورها ، لأنه وُسِّد الأمر لغير أهله ، بالرشوة ضاعت حقوق

الفقراء في العلاج من المرض، بسبب الرشوة والمحسوبية مات الكثير من الفقراء لأنه لا يملك ما يعالج به نفسه،هذه هي طبيعة الحياة في هذا العصر الذي نعيش فيه اليوم ، إن التغيير لا يأتي من تغيير فرد أو حكومة،التغيير لابد أن يبدأ من الفرد نفسه فكل واحد لابد أن يغير نفسه ، فلو كل فرد في المجتمع غير نفسه لانصلح حال المجتمع كله .

---

(1) المصدر السابق : ص125.

(2) نفس المصدر والصفحة .

لذلك أدرك عمر ماذا تفعله الرشوة في المجتمع ، فهي كالسوس الذي ينخر في العمود الفقري لأي أمة حتى تنهار ، وقد جربه هو بنفسه رضي الله عنه ، فروي أن رجلا كان يهدي لعمر فخذ جزور كلما ذبح ، إلى أن جاء ذات يوم بخصم فقال : يا أمير المؤمنين إقض بيننا قضاء فصلا كما يفصل الفخذ من سائر الجزور ، وقال عمر : فما زال يرددها عليَّ حتى خفت على نفسي ، فقضى عليه عمر ، وكتب إلى عماله في الحال ، أما بعد فإياكم والهدو فإنها من الرشا [1] .

وكتب يوما إلى عماله يوصيهم قائلا : اكتبوا عن الزاهدين في الدنيا ما يقولون ، فإن الله عز وجل وكل بهم ملائكة واضعة أيديهم على أفواههم ، ولا يتكلمون إلا بما هيأه الله لهم [2] .

لقد وازن عمر بين أن يطلق أيدي الولاة في تدبير كل الأمور في ولايته وبين أن ويتركهم كل إلى أسلوبه في الحكم ، ليحفظ هيبتهم ويصون كرامتهم ، وبين أن يحاسبهم ويجعل الشعب رقيبا عليهم فاختار الثانية ، وكان موفقا أعظم التوفيق ومسايرا للعدل ، وسباقا إلى ما يعتبر الآن أحدث النظم الديمقراطية ، التي تقوم على أساس مراقبة الحاكم ومحاسبته ، وأنه مسؤول عما يعمل أمام الشعب الذي ولاه واختاره عليه[3].

هذه هي بعض وصايا عمر بن الخطاب لعماله ، لكي يكونوا هداة مهديين لا ضالين ولا مضليين ولكي يحققوا أحلام الناس في العيش تحت حكم عادل ونزيه .

---

(1) ابن الجوزي : السابق ، ص 126.

(2) المصدر السابق ، ص128.

(3) محمد محمد المدني : نظرات في فقه عمر ، القاهرة ، 2002م ، ص 177

*** محاسبته ومراقبته لعماله**

لم يكن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب يكتفي بوصاياه لعماله ونصائحه لهم ، بل كان يراقبهم ويحاسبهم على كل صغيرة وكبيرة ، إذا ما صدر منهم شيء يخالف شرع الله ، ولا يتماشى مع العدالة الاجتماعية التي يصبوا إليها ، وقد كان هو نفسه يوصي الناس بمراقبة عماله وإذا ما صدر منهم مظلمة ضد أحد من الناس ، فأخبرهم بأن يبلغوه على الفور ،فخطب يوما فيهم قائلا: أيها الناس : إني والله ما أرسل إليكم عمالا ليضربوا أبشاركم ولا ليأخذوا أموالكم ، ولكني أرسلهم إليكم ليعلموكم دينكم وسنتكم ، فمن فُعل به شيء سوى ذلك فليرفعه إليَّ ، فوالذي نفس عمر بيده لأقصنه منه ، فوثب عمرو بن العاص فقال : يا أمير المؤمنين أرئيتك إن كان رجل من أمراء المسلمين على رعيته فأدب بعض رعيته ، إنك لتقصه منه ، قال إي والذي نفس عمر بيده ،إذاً لأقصنه منه ، وكيف لا أقصه منه وقد رأيت رسول الله يقص من نفسه ، ألا لا تضربوا المسلمين فتذلوهم ، ولا تجمهروهم فتفتنوهم ، ولا تنعوهم حقوقهم فتكفروهم ، ولا تنزلوهم الغياض فتضيعوهم [1]

وكان رضي الله عنه لا يجد غضاضة في محاسبة من أخطأ من عماله كائناً من كان ، حتى ولو كان صحابياً مقرباً ، أو له فضل وسابقة في الإسلام ، فبينما عمر جالس ذات يوم إذ جاءه الخبر بخطأ ارتكبه الصحابي عياض بن غنم عامله على مصر ، إذ سمع رجل يسير في المدينة وهو يقول : الله يا عمر تستعمل من يخون وتقول ليس على شيء ، وعاملك يفعل كذا وكذا ، فأرسل إليه فاستدعاه فلما جاءه أعطاه عصا وجبة صوف وغنما ، فقال إرعها فإن أباك كان راعيا [2].

---

(1) الطبري : السابق ، ج4 ، ص204.

(2) الطبري : السابق: ج4 ، ص 207. وابن الجوزي : المنتظم ، ج4 ، ص 137.

هكذا كان رضي الله عنه يؤدب عماله إذا ما اقترفوا في حق الرعية خطأ ما ، فأين نحن الآن من هذه المراقبة والمحاسبة من قبل المسئولين ، فنحن نعيش بقانون الغابة ، الكبير يأكل الصغير ، فالوزراء يأخذون ميزانيتهم كي ينفقونها في خدمة الناس ، فيوزعها كيفما شاؤا وتضيع هباء ، ولا يعلم المواطن المقهور أين صرفت وأين سرقت .

ومن الأمثلة على محاسبة عمر لعماله أنه استعمل عتبةبن أبي سفيان على كنانة ،فقدم معه بمال فقال:ما هذا ياعتبة ، قال:مال خرجت به معي وتجرت فيه،قال: ومالك تخرج المال معك في هذا الوجه ، فصيره في بيت المال ، فرده إلى بيت المال .[1].

بل كان عمر يتحرى أوقات وصول الوفود إلى المدينة فيسألهم عن حال عماله معهم ، فيقولون خيرا ، فيقول : هل يعود مرضاكم ؟ فيقولون نعم ، فيقول : هل يعود العبد ؟ فيقولون نعم ، فيقول كيف صنيعه بالضعيف ؟ هل يجلس على بابه ؟ فإن قالوا لخصلة منها لا عزله .[2]

بل امتد مراقبته لعماله إلى حد أنه كان يراقب ليس أفعالهم، بل ما كان يصدر عنهم من أقوال ، فعزل يوما عامله على ميسان ، بسبب أنه قال شعرا يمني فيه نفسه بمعصية الله عز وجل ، ولكنه لم يفعل ذلك ، فقد قال في شعره

ألا هل أتى الحسناء أن حليلها ... بميسان يسقي في زجاج وحنتم

إذا شئت غنتني دهاقين قربة ... ورقاصة يحثو على كل ميسم

فإن كنت ندماني فبالأكبر اسقني ... ولا تسقني بالأصغر المتثلم

لعل أمير المؤمنين يسوؤه ... تنادمنا في الجوسق المتهدم

---

(1) الطبري : السابق ، ج4 ، ص 220.

(2) نفس المصدر ، ج4 ، ص 226.

فلما بلغ عمر قوله قال : نعم والله إنه ليسوؤوني، من لقيه فليخبره أني قد عزلته ، فقدم عليه رجل من قومه ، فأخبره بعزله فقدم على عمر فقال: والله ما صنعت شيئا ، مما قلت ولكن كنت إمرأ شاعرا ، وجدت فضلا من قول ، فقلت فيه الشعر ، فقال عمر والله لا تعمل على عمل ما بقيت وقد قلت ما قلت . [1]

هكذا كان عمر يتحرى في اختيار عماله ، بأن يكونوا منزهين عن العيب والشين ، لكي يكونوا قدوة لرعاياهم ، إن عمر كان حريصا على اختيار أزهد الناس في الدنيا وفي الولايه فيوليه على عمل من أعماله ، لعلمه بنقاء سريرته وجودة منطقه وخوفه من المولى عز وجل ، ويبرهن على ذلك تلك الرواية التي وردت في كتاب أسد الغابة من أن سعيد بن عامر الجمحي، كان واليا لعمر على حمص ، وكان كريما جوادا ينفق كل ما يملك في سبيل الله حتى اشتد فقره ، وتحدث الناس بشدة حاجته وفقره، فبلغ ذلك عمر فأرسل إليه بأربعمائة

دينارا ، واستحلفه بالله في كتابه أن ينفقها على نفسه وعلى أهل بيته ، فلما قرأ الكتاب أهتم هما شديدا حتى ظهر ذلك على وجهه ، فقالت له امرأته مالي أراك مهموما ؟ أبلغك موت عمر ؟ قال : أعظم من ذلك ، فقالت : أبلغك من ثغور المسلمين شهيدا ، قال أعظم من ذلك ، فقالت : وما هو ؟ قال ابتليت بالدنيا ، وقد كنت صحبت رسول الله فلم أبتلى بها وصحبت أبا بكر ، فلم أبتلى بها وابتليت بها في صحبة عمر ،، ألا إن شر أيامي لأيام عمر ، فقالت له امرأته وما ذاك بأبي أنت وأمي ، قال إني أخافك قالت : إياي تعني ، قال : نعم ، قالت فأنت آمن من ذلك قال: فإن أمير المؤمنين أرسل إلي بأربعين دينارا ، وعزم علي أن أنفقها علي وعليك ، وأن فقراء المهاجرين ، يدخلون الجنة قبل أغنيائهم بأربعين خريفا ، والله ما أحب أن لي حمر

(1) ابن الجوزي : المنتظم ، ج4 ، ص 138.

النعم، وأني أحبس عن الفوج الأول ، قالت له فاصنع بها ما شئت ، فقال هل من خرق ؟ فأعطته قميصا لها خلقا ، فخرقه خرقة ثم صر فيه ما بين أربعة إلى عشرة ، ثم طرحها في مخلاة ، ثم خرج إلى باب الرستق من حمص ، فجعل يعطي الناس صرة صرة حتى استراح وذهب همه .

وقدم عمر بن الخطاب على معاوية بن أبي سفيان واليه على الشام ، على حمار ومعه عبد الرحمن بن عوف على حمار ، فتلقاهما معاوية في موكب ثقيل فجاوز عمر معاوية حتى أخبر به فرجع إليه ، فلما قرب منه نزل إليه فأعرض عنه ، فجعل يمشي إلى جنبه راجلا ، فقال له عبد الرحمن بن عوف : أتعبت الرجل فأقبل عليه عمر فقال : يا معاوية ، أنت صاحب الموكب آنفا مع ما بلغني من وقوف ذوي الحاجات ببابك ؟ قال : نعم يا أمير المؤمنين قال : ولم ذاك ؟ قال : لأنا في بلد لا نمتنع فيها من جواسيس العدو ، ولابد لهم مما يرهبهم من هيبة السلطان ، فإن أمرتني بذلك أقمت عليه ، وإن نهيتني عنه انتهيت ، فقال لئن كان الذي تقول حقا فإنه رأي أريب ، وإن كان باطلا خدعة أديب، وما أمرك به ولا أنهاك عنه .[1]

وقد كان عمر لا يليق عليه الألاعيب والمداراة ، فقد كان يفطن لذلك ويعرفه في نظر عماله فروي أن الربيع بن زياد الحارثي ، كان عاملا له على البحرين فكتب إلى أبو موسى الأشعري ، أن يحضر هو وبعض العمال إلى المدينة وأن يستخلفوا من هو من ثقاتهم حتي يرجعوا فلما قدموا علي عمر ، قال الربيع بن زياد ليرفأ خادم عمر بن الخطاب يا يرفأ : ابن سبيل مسترشد أخبرني أي الهيئات أحب إلى أمير المؤمنين أن يرى فيها عماله ؟ فأومأ إلى الخشونة، فأخذ خفين ولبس جبة صوفا وربط رأسه

(1) ابن عبد ربه : العقد الفريد ، ج1 ، ص 15 .

بعمامة دكناء، ثم دخلوا على عمر فصفهم بين يديه، وأخذ ينظر إليهم ، فلم تأخذ عينه أحد غير الربيع ، فيقول : فدعاني فقال : من أين أنت ؟ قلت : البحرين ، قال فكم ترزق ؟ قلت خمسة دراهم في كل يوم ، قال : كثيرا فما تصنع بها ؟ قلت أتقوت منها شيئا وأعود بباقيها على أقارب لي ، فما فضل منها فعلى فقراء المسلمين ، فقال لا بأس أرجع إلى موضعك . (1)

وروي أنه حاسب عمرو بن العاص عامله على مصر محاسبة الملكين ، حتى يستقيم له الأمر ، فأساء ذلك عمرو بن العاص كثيرا، وتمنى أنه لم يلي لعمر عملا مطلقا . فقد وجه عمر إليه كتابا جاء فيه سلام عليك ، أما بعد فإنه بلغني أنه فشت لك فاشية من خيل وإبل وغنم وبقر وعبيد ، وعهدي بك قبل ذلك أن لا مال لك فاكتب إلي من أين أصل المال ولا تكتمه ، فكتب إليه : من عمرو بن العاص إلى عبد الله أما بعد ، فإنه أتاني كتاب أمير المؤمنين يذكر فيه ما فشا لي ، وأنه يعرفني من قبل ذلك لا مال لي ، وإني أعلم أمير المؤمنين أني بأرض السعر فيه رخيص ، وإني أعالج من الحرفة والزراعة ما يعالج أهله ، وفي رزق أمير المؤمنين سعة ، والله لو رأيت خيانتك حلالا ما خنتك ، فاقصر أيها الرجل ، فإن لنا أحسابا هي خير من العمل ، ولعمري إن عندك من لا يذم معيشته ولا تذم له ، وذكرت أن عندك من المهاجرين الأولين من هو خير مني ، فأني كان ذلك ولم يفتح قفلك ولم نشركك في عملك ، فكتب اليه عمر : أما بعد فإني والله ما أنا من أساطيرك التي تسطر ونسقك الكلام في غير مرجع ، وما يغني عنك أن تزكي نفسك ، وقد بعثت إليك محمد بن مسلمة فشاطره مالك ، فإنكم أيها الرهط الأمراء جلستم على عيران المال ، لم يعوزكم عذر ، تجمعون لأبنائكم وتمهدون لأنفسكم ، أما إنكم تجمعون العار وتورثون النار ، فلما

(1) نفس المصدر : ج1، ص 16.

قدم عليه محمد بن مسلمة صنع له عمرو طعاما كثيرا،فأبى ابن مسلمة أن يأكل منه ،فقال له عمرو أتحرمون طعامنا؟فقال:لو قدمت إليَّ طعام الضيف أكلته، ولكنك قدمت إليَّ طعاما هو تقدمة شر، والله لا أشرب عندك ماء فاكتب لي كل شيء هو لك ولا تكتمه،فشاطره ماله بأجمعه حتى بقيت نعلاه،فأخذ إحداهماوترك له الأخرى .[1]

هكذا تتجلى العدالة الاجتماعية في أبها صورها ، أما أن يترك الحاكم عماله يعيسون في الأرض فسادا ويملكون الضياع هنا وهناك ، ويأكلون أموال الناس بالباطل ، فهذا هو والله الظلم بعينه ، فأين الجهاز المسئول عن الرقابة المالية والإدارية ، فلو علم كل مسئول أنه سيسأل لجهز لكل سؤالا جوابا ، ولستقام أمره وعفت يده عن أموال الناس ، إن الجهاز الرقابي الذي أقامه عمر في عهده نجح نجاحا منقطع النظير ، في توطيد أركان العدالة الاجتماعية في عصره .

كما كان عمر حريصا على أرواح المسلمين أن تزهق في غير الحق أو أن تضيع سدى ، فهو يدرك قيمة الإنسان في ذاته ، يدرك أن الإنسان الذي جمله الله وجعله خليفة له في الأرض، لابد أن يعيش في عز وكرامة ، فإذا سمع عمر يوما أن واحدا من عماله استهان بإنسان أو دفعه إلى التهلكة اتخذ معه ما يلزم ، وربما عاقبه على ذلك ، فقد روي أن أحد قادة جيوشه أتوا إلى مخاضة ، فانتهوا إلى جسر فقال : لأحد جنوده إنزل فانظر لنا مخاضة نجوز منها ، وذلك في يوم شديد البرودة ، فقال الرجل إني أخاف إن دخلت الماء أن أموت، فأكرهه فدخل فقال : ياعمراه يا عمراه ، ثم لم يلبث أن مات ، فبلغ ذلك عمر وهو في سوق المدينة فقال : يالبيكاه وبعث إلى أمير _ الجيش فنزعه وقال : لولا أن تكون سنة بعدي لأقدت منك فقتلتك كما قتلته ، لا تعمل لي عملا أبدا .[2]

---

(1)ابن عبد ربه : المصدر السابق ، ج1 ، ص 45 – 46.

(2)ابن الجوزي : مناقب عمر ، ص117.

لنرى كم يموت اليوم من المسلمين ولا يدري بهم أحد ، ولا ينافح عنهم مسئول من المسئولين ، ولا يغضب لهم حاكم من الحكام ، فكم قتل من المسلمين في فلسطين والعراق والآن في سوريا ومصر ، ولا نسمع سوى الإدانة والشجب والاستنكار .

وعلي الصعيد المحلي نرى كم يموت من فقراء المسلمين كل يوم ، هؤلاء الناس الذين نهش المرض أجسادهم ، بسبب السموم والمبيدات المسرطنة التي صدرها النظام الفاسد لأبناء جلدته، فسمعنا عن أمراض لم نسمع عنها من قبل ، بل تخطينا فيها الأرقام والمعدلات العالمية ، ولم نعاقب ولم نحاسب من صدروا الموت لأبنائنا ، بل تركناهم يهربون بأموالنا التي قتلونا بها .

فمن أين تأتي العدالة الاجتماعية ، والمتسببون في تعكير صفو حياتنا ينعمون ببلاد الغرب ويتلذذون بالحياة الدنيا ، في حين أن الفقر والمرض الذي سببوه لبني وطنهم ينهش في عظامهم ويقضي على الأخضر واليابس في حياتهم.

لقد ضرب عمر أروع الأمثلة في رحمته بالناس ،فروي أنه قد أتاه رجلا عاصيا شرب الخمر فأدبه الصحابي أبو موسى الأشعري ، وسود وجهه وطيف به ونهى الناس عن مجالسته، فذهب يشكوه لعمر فتأذى عمر من هذا الصنيع ، وكتب على الفور إلى أبي موسى الأشعري قائلا : إن فلانا أتاني فذكر كيت وكيت ، فإذا أتاك كتابي هذا ، فمر الناس أن يجالسوه وأن يخالطوه، وإن تاب فأقبل شهادته ، وترضية له أمر عمر بكسوته وأعطاه مائتي درهم [1].

لقد حاول عمر أن يعلم أبو موسى الأشعري معنى الرحمة ، فأراد أن يعلمه عدم القسوة في الحكم على الناس ، فلا يستحق رجلا أخطأ وشرب الخمر كل هذا العقاب

(1) ابن الجوزي : المصدر السابق ، ص 126.

،وأن نسعى ونعين عليه شيطانه ، لقد كان عمر حريصا على أن يعلم عماله هذا المعنى الجميل في العفو والصفح ،وإذا ما رأى يوما في أحد عماله غلظة وعدم شفقة بالناس عزله على الفور .

فقدروي أنه استعمل رجلا من بني أسد على عمل من أعماله ، فدخل الرجل ليسلم على أمير المؤمنين قبل انصرافه إلى مهمته التي أسندها إليه عمر ، فوجد عمر يقبل أحد أبنائه ، فقال الأسدي : أتقبل هذا يا أمير المؤمنين؟فوالله ما قبلت ولدا لي قط ، فقال عمر:فأنت والله بأولاء الناس أقل رحمة،لا تعمل لي عملا قط فرد عهده.(1)

وروي أن بعض الرعية اشتكوا إليه ظلم بعض عماله ، فأمرهم أن يوافوه ، وأرسل في طلبهم، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : أيتها الرعية إن لنا عليكم حقا ، النصيحة بالغيب ، والمعاونة على الخير ، أيها الرعاة إن للرعية عليكم حقا ، اعلموا أنه لا حلم إلى الله أحب ولا أعم نفعا من حلم إمام ورفقه ، وأنه ليس جهل أبغض إلى الله ولا أعم من جهل إمام وخرقه ، اعلموا أن من يأخذ بالعافية ممن بين ظهرانيه يرزق العافية ممن هو دونه .(2)

لقد بين الكاتب الكبير العقاد السبب الجوهري وراء اختلاف عصر عمر بن الخطاب عن عصرنا الحديث ، بقوله : إن العصريون يستغربون نظام حكومة عمر ، وإن كانوا ليتمنون أن يكونوا مثله لو استطاعوا ، وهي طريقة محاسبته لعماله ، واستغرب العصريون كيف ينزع أموال الولاة ، ويعاقبهم على تقصيرهم ، وسبب استغرابهم يعود إلى أنهم لا يألفونه في طرائق الحكومات العصرية ، فالحكومات العصرية قد تحمي الولاة وإن ظلموا ، فلا تسمع بمقاضات إلا بإذن

---

(1) ابن الجوزي : المصدر السابق : ص 116.

(2)نفس المصدر ، ص 114.

منها ، وقد تحميه مرة أخرى بالاحالة إلى الثقة بالوزارة ومنع المناقشة في عمله ، لأنها هي المختصة بمناقشته فيه ، وتعتزر في الحالتين بعذر المحافظة على هيبة الدولة ، ولم يكن عمر يخشى هذا الخطر ، لأنه كان أقوى منه ، فله هو الحق ، وعلى النظم العصرية المـــــلام . [1]

على أية حال إن الذين يخافون على هيبة الدولة والنظام وذلك لأنهم فاسدون ، لينظروا ماذا صنع عمر عندما أقال ثلاثة عمال من عماله دفعة واحدة ، دون أن يخاف على هيبة الدولة ، إن هيبة الدولة لا تأتي من الخوف على مصالح الفاسدين ، بل بالعدل والحق أينما كان ، لقد عزل عمر أبو موسى الأشعري عن البصرة ، وشاطره نصف ماله وهو من هو في التقوى والنزاهة وطهارة اليد من مال الناس ، وعزل أبا هريرة من البحرين وشاطره ماله أيضا ، وعزل الحارث بن كعب بن وهب وشاطره ماله ، ولم يكتفي بذلك بل فتح معهم تحقيق كبير في سبب غناهم ، فقال لأبي موسى الأشعري : ما جاريتين بلغني أنها عندك ، إحداهما تدعى عقيلة والأخرى من بنات الروم ؟ قال : أما عقيلة فجارية بيني وبين الناس ، وأما التي من بنات الروم فإني أردت بها غلاء الفداء ، قال : فما جفنتان تعملان عندك ؟ قال : رزقي شاه في كل يوم ، فيعمل نصفها غدوة ونصفها عشية ، قال : فما مكيالان بلغني أنها عندك ؟ قال : أما أحدهما فأوفي بها أهلي به وديني ، وأما الآخر فيتعامل الناس به ، قال : ادفع لنا عقيلة ، والله إنك لمؤمن لاتغل أو فاجر مبل ، ارجع إلى عملك عاقصا بقرنك مكتسعا بذنبك ، والله إن بلغني عنك أمر لم أعدك .

ثم دعا أبا هريرة فقال له : هل علمت من حين أني استعملتك على البحرين وأنت بلا نعلين ، ثم بلغني أنك ابتعت أفراسا بألف دينار وستمائة دينار ؟.

---

(1)عباس محمود العقاد : عبقرية عمر ، ص 114.

قال : كانت لنا أفراس تناتجت وعطايا تلاحقت ، قال قد حسبت لك رزقك ومؤنتك وهذا فضل فأده ، قال : ليس لك ذلك ، قال : بلى والله وأوجع ظهرك ، ثم قام إليه بالدرة فضربه حتى أدماه ، ثم قال : ايت بها، قال احتسبتها عند الله قال ذلك، لو أخذتها من حلال وأديتها طائعا ، أجئت من أقصى حجر بالبحرين يجبي الناس لك لا لله ولا للمسلمين ؟ ما رجعت بك أميمة إلا لرعية الحمر – وأميمة أم أبي هريرة – .

ثم دعا بالحارث بن وهب فقال : ما قلاص وأعبد بعتها بمائتي دينار؟ قال : خرجت بنفقة معي فتجرت فيها ، فقال : أما والله ما بعثناكم لتتجروا في أموال المسلمين،أدهافقال:أما والله لا عملت عملا بعدها ، قال : انتظر حتى استعملك![1]

فهنا تكمن هيبة الدولة للذين يظنون أن محاسبة الحاكم لوزرائه فيها هدم لهيبة الدولة ، هل هدمت دولة عمر حين أقال هؤلاء الشرفاء الذين لم يأخذوا شيئا من أموال المسلمين بل هو مالهم ، لكنه حاسبهم على انشغالهم بذلك عن أمور المسلمين ، فهل سقطت دولة عمر لذلك، لا والله بل زادت رفعة وشأنا على مر العصور والأزمان .

*** وضعه كل متخصص في تخصصه**

لاغرو في أنه من الأسباب التي أدت إلى ثورة الناس على حكامهم هو غياب العدالة الإجتماعية في توزيع الأدوار ، وعدم وضع كل فرد في تخصصه ، وإسناد كل مهمة أو وظيفة لمن لا يستحقها ، لأن الفساد الذي ساد المجتمع في بلادنا ، حرم ذوي الهمم العالية والأفكار النيرة التي تحمل الخير لبلادها من أماكنهم التي يستحقونها ، وحل محلهم أبناء الكبراء ورجال الأعمال والأغنياء ذوي السلطة

(1) ابن عبد ربه : السابق ، ج1، ص 44.

والنفوذ ، الذين قد لا يعلمون من مهام هذه الوظيفة شيئا ، ففسدت الحياة الإدارية في المؤسسات الحكومية ، والقطاع الخاص والإعلام المرئي والمسموع ، بسبب استبعاد الكفاءات العلمية والفكرية ، ووضع الفاسدين محلهم ، هذه الأسباب هي التي تجعل الناس يستشعرون الضيق ، فقد اجتهد من اجتهد منهم ووصل إلى أعلى المراكز العلمية، ثم يواجه بالنكران من قبل الدولة وتتحطم آماله على صخرة الفساد الإداري .

لقد أدرك الخليفة عمر بن الخطاب هذا، واستشعر مدى الخطر الذي يكمن في تفضيل بعض الناس على بعض ، لذلك وضع كل متخصص في تخصصه ، وأنزل كل واحد في المجتمع منزلته ، لذلك استشعر الناس العدل في عهده ، واستشعر كل ذو قيمة أو موهبة أن له قيمة في المجتمع ، وأن المجتمع يقدره ويبجله ، فجد العالم في علمه ، والمقاتل في اتقان فنون القتال ، والقاضي في اتقان مهارات التقاضي ، والعامل في عمله والصانع في اتقان صنعته .

لقد كان عمر بن الخطاب ينزل الناس منازلهم حتى ولو كانوا من أعدائه ، فروي أنه لما أتي بالهرمزان أسيرا إلى عمر بن الخطاب قيل له : يا أمير المؤمنين هذا زعيم العجم وصاحب رستم ، فقال له عمر أعرض عليك الإسلام نصحا لك في عاجلك وآجلك ، قال : يا أمير المؤمنين إنما أعتقد ما أنا عليه ، ولا أرغب في الإسلام ، فدعا له عمر بالسيف فلما هم بقتله قال : يا أمير المؤمنين ، شربة من ماء أفضل من قتلي على ظمأ ، فأمر له بشربة من ماء ، فلما أخذها قال : أنا آمن حتى أشربها ؟ قال : نعم ، فرمى بها وقال : الوفاء يا أمير المؤمنين نورٌ أبلج قال : صدقت ، لك التوقف عنك والنظر في أمرك ، إرفعا عنه السيف ، فلما رفع عنه ، قال : الآن يا أمير المؤمنين أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمد عبده ورسوله ، وما جاء به حق من عنده ، قال عمر : أسلمت خير إسلام ، فما أخرك ؟ قال : كرهت أن تظن أني أسلمت جزعا من السيف ، وإيثارا لدينه بالرهبة ، فقال عمر : إن لأهل فارس

عقولا بها استحقوا ما كانوا فيه من ملك ، ثم أمر به أن يُبَر ويكرم ، فكان عمر يشاوره في توجيه العساكر والجيوش لأهل فارس . (1)

إلا أننا اليوم نتبرأ من أصحاب العقول النيرة ، ولو كانوا من أبناء هذا الوطن ،والنتيجة أن هاجر هؤلاء بعلمهم ليسقوا بعقولهم وأفكارهم حضارات أخرى ، لتنموا وتزدهر حضارات أخرى وتغط أوطانهم في ثبات التخلف أبد الدهر ، وتظل في مؤخرة الركب .

لقد كان عمر حاكما حصيفا ذكيا ، يضع كل فرد في موضعه الذي يمتاز فيه ، ليس لمجد شخصه ولكن لمجد الأمة ومصلحتها العليا ، فأرسل يوما إلى النعمان بن مقرن وهو على الصائفة في حروبه بالشام ، أن استعن في حربك بعمرو بن معد يكرب ، وكان فارسا مغوارا شجاعا يعدل بالمئات من الجند لشجاعته ، واستعن أيضا بطليحة الأزدي ولا توهما من الأمر شيئا ، فإن كل صانع أعلم بصناعته . (2)

لقد كان عمر يعلم قدرات هذين الرجلين في الحرب ، فخاف إن استعملهما النعمان على شيء غير ذلك أن يفشلا فيه ، لذلك أوصاه بأن يتركهم في ميدان الحرب ، لأنهم أعلم بشئون الحرب من أي شيء آخر .

وعين الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، في منصب القضاء لعلمه بذكائه وفقهه ، فقال له : ياعلي إقض بين الناس وتجرد للحرب . (3)

بل كان عمر ينزل كل من يخدم الدولة ويخدم الإسلام بعقولهم أو بجهودهم

---

(1) ابن عبد ربه : السابق ، ج1 ، ص 112-113.

(2) ابن عبد ربه : المصدر السابق : ج1 ، ص 109.

(3) ابن الجوزي : مناقب عمر ، ص 74.

منزلتهم ، فكان يكافئ من يقاتلوا من أجل إعلاء كلمة الله في الأرض ، وينزل المصاب منهم منزلته ، ويجزل لهم العطاء ، فروي عن عبد الله بن عمر أنه قال : بينما الناس يأخذون اعطياتهم بين يدي عمر ، إذ رفع رأسه فنظر إلى رجل في وجهه ضربه ، فسأله فأخبره أنها إصابة أصيب
بها في غزوة من الغزوات ، فقال عمر عدو له ألفا أخرى ، فأعطي الرجل ألف درهم ، فقال عمر عدو له ألفا ، فأعطي الرجل ألفا أخرى ، فقال له ذلك أربع مرات كل مرة يعطيه الف درهم ، فاستحي الرجل من كثرة ما يعطيه ، فخرج ، فسأل عنه فقيل له : إنا رأينا ، أنه استحي من كثرة ما تعطيه فخرج ، فقال عمر : أما والله لو أنه مكث ، ما زلت أعطيه ما بقي منها درهم ، رجل ضرب ضربة في سبيل الله حفرت في وجهه [1].

أي تكريم هذا الذي يكرمه عمر لمحارب أصيب في وجهه في معركة من المعارك ، أنه العدل المتمثل في شخص عمر ، أما نحن فلا نعرف كلمة تكريم في بلادنا إلا لذوي التفاهات الفاسدين والمفسدين ، أما أصحاب الهمم ومن ضحوا من أجل أوطانهم فلا مجال لتكريمهم ، فقد كرم حكامنا من ليس لهم حق في التكريم ، أما ذوي العقول وذوي الأفكار والشهداء الذين ضحوا بالغالي والنفيس من أجل الوطن، فلم تتطرق إليهم الدولة بشيء ، إننا لنجد كثير من أبناء شهداء حرب اكتوبر لا يجدون ما يقتاتون به ، هل نال أحمد زويل وغيره من العقول المصرية والعلماء المسلمين في مصر ، من التكريم ما ناله الفنانين ولاعبي الكرة من تكريم ، على أية حال فلن ينصلح المسلمين إلا أن ترجع الأمور إلى نصابها ، وأن يعطى كل مجتهد نصيبه بقدر اجتهاده ، لكي تتحقق العدالة الاجتماعية بين الناس .

الجوزي : المصدر السابق :ص74.

obeikandl.com

*** الحريات**

لا يوجد نظام في العالم كفل الحريات للأشخاص مثل النظام الإسلامي ، فقد جاء الإسلام ونظم الحريات وكفلها للجميع ، فقد كفل للناس الحرية في أن يعتنقوا الإسلام أو غيره من الديانات ، ويحق لمن لا يعتنق الإسلام مباشرة كافة حقوقه في دول الإسلام التي يعيش فيها، كحقه في العيش بحرية وكرامة ، وحقه في التقاضي وحقه في حرية الرأي والفكر ، وحقه أيضا في الوظائف الإدارية والسياسية العليا في الدولة .

والحريات في الإسلام يختلط معناها في كثير من الأحيان بمعني الرحمة والعدل والشورى والمساواة ، لأن هذه المبادئ لا يستقيم أمرها إلا في توفر جو من الحرية ، فإذا فقد الإنسان حريته في التعبير عن رأيه ، وحريته في اعتناق ما يشاء من الديانات ، وحريته في الفكر والإبداع فإنه قد حرم مبدأ أصيل من مبادئ الإسلام العظيمة ، وهو مبدأ العدالة الاجتماعية فمن أين يشعر الإنسان بالعدالة الاجتماعية وهو محروم من إبداء رأيه بحرية تامة، ومحروم من حرية التنقل وحرية التفكير هذا كله ليس من الإسلام في شيء .

1- حرية العقيدة

لقد كفل الإسلام كما قلنا من قبل للمرأ حرية العقيدة ، فله مطلق الحرية في اعتناق ما يشاء من ديانات ، سماوية كانت أو بوذية أو مجوسية ، هذا كان دأب الفاتحين الأولين من الصحابة الكرام ، وتابعيهم بإحسان ممن فتحوا البلاد ، وقلوب العباد ، فقد كانوا يخيرونهم بين اعتناق الإسلام وبين أن يبقوا على ديانتهم ، ولهم كافة الحقوق مثلهم مثل المسلمين مقابل دفع الجزية التي هي مقابل لحماية المسلمين لهم ، حتى يكونوا آمنين في دورهم، ولقد حث القرآن الكريم على ذلك فقال عز

وجل " لا إكراه في الدين " [1] ، وحث رسوله الكريم صلى الله عليه وسلم على عدم

obeikandl.com

إكراه الناس على اعتناق الإسلام فقال عز وجل " فإن أعرضوا فما أرسلناك عليهم حفيظا إن عليك إلا البلاغ " [2] ، كما حثه المولى عز وجل على أن يدعوا الناس إلى الإسلام بالحكمة والموعظة الحسنة ، وأن يجادل أهل الشرك وأهل الكتاب بالتي هي أحسن ، فقال عز وجل " أدع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة ، وجادلهم بالتي هي أحسن إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين " [3] .

لذلك كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه على علم تام بالحريات على اختلاف أنواعها لاسيما حرية العقيدة ، فكفل للناس حرية العقيدة ، ففرض على أهالي البلاد المفتوحة في عهده الجزية ولم يجبرهم على اعتناق الإسلام ، حتى يستشعرون أنهم غير منبوذين في المجتمع، وأنه رغم مخالفة عقيدتهم لعقيدة المسلمين ، إلا أنهم يعيشون متمتعين بكافة حقوقهم شأنهم في ذلك شأن المسلمين ، وهذا ما شجع كثير ممن لم يعتنقوا الإسلام إلى الدخول فيه .

فروي أنه رضي الله عنه جاءته امرأة نصرانية عجوز ذات يوم ، كانت لها حاجة عنده ، فقال لها أسلمي تسلمي ، إن الله بعث محمدا بالحق ، فقالت : أنا عجوز كبيرة والموت إلي أقرب ، فقضى حاجتها ولكنه خشي أن يكون في مسلكه هذا ما ينطوي على استغلال حاجتها لمحاولة إكراهها على الإسلام فاستغفر الله مما فعل وقال : الله إني أرشدت ولم أكره . [4]

---

(1) البقرة – 256 .

(2) الشورى – 48.

(3) النحل – 125.

(4) الصلابي : المرجع السابق ، ص 121.

وروي أنه كان له عبدا نصرانيا اسمه " أشق " حَدَّث فقال : كنت عبدا نصرانيا لعمر فقال لي : أسلم حتى نستعين بك على بعض أمور المسلمين ، لأنه لا ينبغي لنا أن نستعين على أمورهم بمن ليس منهم ، فأبيت فقال : لا إكراه في الدين ، فلما حضرته الوفاة اعتنقني فقال لي اذهب حيث شئت [1] .

وكتب عمر إلى أهل القدس المسيحيين كتابا يؤمنهم فيه على معتقداتهم وعلى أنفسهم ودورهم وكنائسهم ، وأعطاهم الأمان على أموالهم وأنفسهم [2] . وأعطاهم على ذلك عهدهم فقال : " إنما أعطيناهم العهد على أن نخلي بينهم وبين كنائسهم ، يقولون فيما بدا لهم ، وألا نحملهم مالا يطيقون ، وإن أرادهم عدوهم بسوء قاتلنا دونهم ، وعلى أن نخلي بينهم وبين أحكامهم ، إلا أن يأتوا راضين بأحكامنا فنحكم بينهم ، وإن غيبوا عنا لم نتعرض لهم [3] .

ومن الحريات التي كفلها عمر لأهل الذمة ، والتي شعروا فيها بالعدالة الاجتماعية ، هو أنه كان لا يأخذ الجزية ممن لا يستطيع سدادها ، فقد ذكر أبو عبيد في كتاب الأموال : أن عمر مر بباب قوم وعليه سائل يسأل : شيخ كبير ضرير البصر ، فضرب عضده من خلفه وقال : من أي أهل الكتاب أنت ؟ فقال : يهودي ،قال : فما ألجأك إلى ما أرى ؟ قال : أسأل الجزية والحاجة والسن ، قال : فأخذ عمر بيده وذهب به إلى منزله فرضخ له بشيء من المنزل ثم أرسل إلى خازن بيت المال فقال : انظر هذا وضرباءه فوالله ما أنصفناه إلى أن أكلنا شبيبته ثم نخذله عند الهرم ، ووضع عنه الجزية وعن ضربائه [4] .

---

(1) نفس المرجع : ص 121.

(2) الطبري : المصدر السابق ، ج 4 ، ص 158.

(3) الصلابي : المرجع السابق ، ص 122.

(4) أبي عبيد : الأموال ، ص 57

لقد أرسى عمر مبادئ العدالة الاجتماعية في عهده حتى استشعر الفرد ذلك بأن له حق في المعيشة دون قهر أو مذلة ، فقد أصر عمر على أن يسود المجتمع جو من الوئام والرعاية والرحمة والرفق على غير المسلمين ، وإنهم – أي المسلمين – لم يبعثوا جباه للأموال بل هادين للبشر ، فالإسلام لم ينتشر ويدخل البلاد من أجل جمع المال والغنائم ، بل فتحوها ليزيلوا الغشاوة عن أبصار الناس ويخرجونهم من الظلمات إلى النور .

*** حق الأمن وحرية الملكية وحرمة المسكن**

شدد الإسلام الحنيف على حق الأمن للمواطن في المجتمع ، بأن يأمن في حياته علي أسرته وعلى عرضه وعلى ماله ، والحكومات ملزمة بذلك وقد حث القرآن الكريم على الأمن ، فقال تعالى ولا عدوان إلا على الظالمين " [1] وقال أيضا " فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم " [2] .

لقد كفل الإسلام حق الحياة للمواطن ، فمن حقه أن يعيش حياة كريمة آمنة مطمئنة ، دون اعتداء أو تهديد بغير حق ، ومن هذا المنطلق عمل عمر بن الخطاب على تحقيق الأمن وحماية حياة الناس في عهده وصيانتها من أي تهديد أو وعيد ، بل قام بنفسه على حمايتهم ، فتولى بنفسه مهمة حراسة الناس ليلا ، فقد كان يطوف بشوارع المدينة يتفقد أحوال المسلمين، بل كان رضي الله عنه يقول للناس: بأنه لم يستعمل عليهم العمال ليضربوا أبشارهم ويشتموا أعراضهم ويأخذوا أموالهم ، ولكن يستعملهم ليعلموهم كتاب الله وسنة رسوله ، وأن من ظلمه عامل بمظلمة فلابد أن يرفعها إليه حتى يرد عليه مظلمته .

---

(1) البقرة : 193 .

(2) البقرة : 194

كما رفض عمر بن الخطاب هذا الأسلوب الهمجي في التحقيق مع الناس في القضايا التي ترفع إليه ويفصل هو فيها ، هذا في الوقت الذي نعيش فيه الآن وتنتهك فيه الحرمات .

وتنتهك فيه حرية الرأي ، فقد كانت الحكومة في العهد البائد تداهم منازل الناس وهم آمنون ليلا ويأخذونهم دون وجه حق ، ويضعونهم في المعتقلات دون جريرة ارتكبوها ، وقد يبقوا على حالهم هذا أعواما كثيرة دون أن يعلم ذويهم عنهم شيئا ، فمنهم من يرجع إلى أهله ومنهم من يموت دون أن يعلم أهله هل هو على القيد الحياة أم فارقها .

وعلى النقيض نرى عمر يحذر عماله من هذه الانتهاكات في حق الرعية ، فيقول لهم : ليس الرجل بمأمون على نفسه إن أجعته أو أخفته أو حبسته أن يُقر على نفسه . [1] ، فهو يقر هنا رضي الله عنه مبدأ عدم جواز الحصول على الإقرار والاعتراف من مشتبه به في جريمة ما تحت الضغط والتهديد ، سواء كانت الوسيلة المتبعة في ذلك مادية ، كحرمانه من عطائه أو مصادرة أمواله ، أو معنوية كتخويفه أو تعذيبه . [2]

أما ما نغط فيه اليوم من ممارسات قبيحة ، فقد هتكت أعراض الناس وغيبت حرية الرأي، وما نراه من وسائل تعذيب في السجون والمعتقلات ، فإنه لفعل اليهود غلاظ القلوب، هل نسي هؤلاء الحكام أنهم مسئولون عن كل هذه الانتهاكات ، هل نسي هؤلاء أن ربهم لبلمرصاد، إن ما سيحدث لهم في الدنيا من تنكيل لجزء يسير من عذاب الله ، وما ينتظرهم يوم القيامة أعظم.

لقد تطاولت الأنظمة الفاسدة اليوم بكل وسائل الانتهاكات على كرامة الإنسان ،

---

(1) الصلابي : السابق ، ص 126 .

(2) نفس المرجع : والصفحة .

فغابت العدالة الاجتماعية وغاب أمن الفرد على حياته وعرضه وماله ، فأين العدالة الاجتماعية في غياب حق حرية المعيشة ، وحرية الكرامة ، رغم أن الله عظم حرمة المسكن فقال ، " لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستأنسوا وتسلموا على أهلها ذلكم خير لكم لعلكم تذكرون فإن لم تجدوا فيها أحدا فلا تدخلوها حتى يؤذن لكم وإن قيل لكم ارجعوا فارجعوا هو أزكى لكم . [1] .

أما عن حرية الملكية فقد كفلها عمر بن الخطاب لرعاياه ، فعندما أراد رضي الله عنه توسعة الحرم المكي ،وأراد أن ينزع بعض أملاك الناس حول الحرم ، دفع لهم تعويضا مناسبا ، وأقر لهم بحق الملكية ، ولكنه أعلمهم بأن المصلحة العامة تقتضي ذلك .

ولم تكن حرية الملكية في عهد عمر مطلقه ، إنما كانت مقيدة بالحدود الشرعية ومراعاة المصالح العامة ، فقد روي أن بلال بن الحارث المزني ، جاء إلى رسول الله يطلب منه أن يستقطعه أرضا ، فأقطعه أرضا طويلة عريضة ، فلما آلت الخلافة إلى عمر قال له : يا بلال إنك استقطعت رسول الله أرضا طويلة عريضة فقطعها لك ، وإن رسول الله لم يكن يمنع شيئا يسأله وأنت لا تطيق ما في يدك ، فقال أجل ، فقال عمر : فانظر ما قويت عليه منها

فأمسكه، ومالم تطق ومالم تقوا عليه فادفعه إلينا ، فقسمه بين المسلمين ، فقال : لا أفعل والله، شيء أقطعنيه رسول الله ، فقال عمر : والله لتفعلن ، فأخذ عمر ما عجز عن عمارته فقسمه بين الناس . [2]

هذا الفعل هو ضرب من ضروب العدالة الاجتماعية ، حتى لا يستأثر فئة معينة

---

(1)البقرة : 189.

(2)المغني : ج5ص 579.

بالجاه والسلطة والمال ، وفئة أخرى لا تجد ما تسد به جوعها ، أما ما نراه اليوم في مجتمعاتنا من استئثار فئة من الناس على ثروات البلاد ، فيملك الواحد منهم الكثير من الأموال التي لا تعد ولا تحصى ويمتلكون الأراضي بأبخس الأثمان ، فيقيمون عليها قصورا ومتنزهات خاصة بهم ، ويحرمون الشباب من قطعة أرض يزرعونها يقتاتون منها ، فهل هذا يمت إلى العدالة الاجتماعية بأي صلة ، لقد كان عمر بن الخطاب يدرك تماما طبائع النفوس ، وأنهى بفكره الحصيف وعدله على الطبقية في المجتمع حتى لا تكون هناك طبقة ارستقراطية تملك المال والأرض ، وهناك طبقة لا تجد ما تسد به جوعها ، فعندما رأى عمر أن هذه الأرض التي يملكها الرجل لا يستطيع أن يزرعها كلها ، وأنها أكبر من قدراته وأنه يعمر جزء منها ، ويهمل الباقي، رأى أن ينتزع منه ما يهمله من أرضه ، وينتفع بها غيره من المسلمين فيعمروها ويزرعوها ، هكذا كان عمر يدرك بثاقب نظره طبائع الناس ، وأن الناس ينظرون إلى بعضهم البعض ، وقد يحقد بعضهم على بعض لتميز البعض عن بعض في الثروة والمال .

*** حرية الرأي**

كفل الإسلام للفرد في المجتمع حرية الرأي ، وقد كان عمر بن الخطاب يترك للناس الحرية في إبداء أرائهم دون خوف أو تنكيل، بل وكان يترك لهم الفرصة في الاجتهاد في المسائل التي لا نص لها ، فقد روي أن عمر لقي رجلا فقال ما صنعت ؟ قال : قضي علي وزيد بكذا قال: لو كنت أنا لقضيت بكذا ، قال : فما منعك والأمر إليك ؟ قال : لو كنت أردك إلى كتاب الله أو إلى سنة رسوله صلى الله عليه وسلم لفعلت ، ولكني أردك إلى رأي، والرأي مشترك ما قال علي وزيد [1] .هكذا كفل

(1) اعلام الموقعين : ج1 ، ص 65.

عمر لغيره حرية الاجتهاد وإبداء الرأي في بعض المسائل حتى ولو كان مخالفا لرأيه .

لقد كان رضي الله عنه يحرص كل الحرص على أن يكون للفرد في المجتمع حق إبداء الرأي ، ولذلك دائما كان يقول للناس : إن لنا عليكم حقا ، النصيحة بالغيب والمعاونة على الخير [1].

وخطب ذات يوم فقال لا تزيدوا في مهور النساء على أربعين أوقية، وإن كانت بنت ذي القصة – يعني يزيد بن الحصين – فمن زاد ألقيت الزيادة في بيت المال ، فقامت امرأة تعترضه على ذلك ، فقالت : ماذاك لك قال : ولم ؟ قالت لأن الله تعالى قال : " وآتيتم إحداهن قنطارا فلا تأخذوا منه شيئا أتأخذونه بهتانا وإثما مبينا " فقال عمر : اللهم غفرانك كل إنسان أفقه من عمر ، ثم رجع فركب المنبر فقال ، أيها النـــــــاس إني كنت نهيتكم أن تزيدوا النساء في صدقاتهم على أربعمائة درهم فمن شاء أن يعطي من ماله ما أحب وطابت به نفسه فليفعل [2].

هكذا كان عمر يطلق العنان للناس في إبداء أرائهم بحرية تامة ، ولكن ليست مطلقة فلو حدث وأن أحدا أبدى رأيا نال فيه من كرامة إنسان ما ، أو من شرفه وعرضه ، فقد كان يقف له بالمرصاد ، مثلما فعل مع الشاعر الحطيئة عندما هجا بشعره الصحابي الزبرقان ابن بدر بقوله

دع المكارم لا ترحل لبغيتها واقعد فإنك أنت الطاعم الكاسي

فقد شبهه هنا بالنساء في أنهن يجلسن في البيوت فيطعمن ويسقين ويكسين ، فتوعده عمر بقطع لسانه إذا تمادى في هجوه المسلمين ونهش أعراضهم ، لكنه عاقبه بالسجن، فاستعطف عمر وهو في السجن بقوله

---

(1) الطبري : المصدر السابق ، ج4 ، ص 224.

(2)مجمع الزوائد ، ج4 ، ص 283.

ماذا أقول لأفرج بذي مرح زغب الحواصل لا ماء ولا شجر
ألقيت كاسبهم في قعر مظلمة فاغفر عليك سلام الله يا عمر
أنت الأمير من بعد صاحبه القى إليك مقاليد النهى البشر

فرق له قلب عمر وخلى سبيله وأخذ عليه ألا يهجوا أحدا من المسلمين [1] .

هكذا استطاع عمر بن الخطاب أن يفتح الباب أمام الحريات ، كحرية الرأي وحرية الملكية وحرية العقيدة ، وفي نفس الوقت أجهض أي محاولة لحرية الرأي والتي من شأنها أن تزعزع أركان المجتمع ، وشد على يد من يحاولون أن يشيعون الفتنة بين الناس ، من خلال التطاول عليهم بدعوي حرية الرأي .

(1) ابن قتيبة ، الشعر والشعراء ، ج1 ، ص 327.

obeikandl.com